



ستسقط خلال أسبوعين

بعد عام ونصف من إعلان روسيا تدخلها في سوريا وموافقة البرلمان على نشر قوات عسكرية خارج البلاد، جاء تصريح وزير الخارجية سيرغي لافروف في السابع عشر من كانون الثاني 2017 بأن "العاصمة دمشق كانت ستسقط خلال أسبوعين أو ثلاثة في يد الإرهابيين" لولا تدخلهم؛ ليعيد لافروف إلى الأذهان معركة "الله غالب" التي أطلقها جيش الإسلام في الثامن من أيلول عام 2015، وسيطر فيها خلال 3 أيام على سلسلة الجبال التي تحاصر الغوطة الشرقية من جهة القلمون الغربي وهيئة الأركان الاحتياطية فيها.

لتشهد السلسلة على مدار شهرين بعد ذلك هجوماً عكسيّاً من قبل النظام بغطاء جوي روسي كثيف أدى إلى انسحاب جيش الإسلام من المنطقة الاستراتيجية التي تهدد العاصمة دمشق.

شاهد المقاتلون للمرة الأولى الطائرات الروسية الأحدث السوخوي 24 وسوخوي 25 وسوخوي 27 وسوخوي 30 وسوخوي 33 وسوخوي 34 وسوخوي 35، بعد أن اعتادوا على ضربات طائرات النظام القديمة من ميج 21 وميج 23 وسوخوي 22.

كانت القدرات الجوية التي زج بها الروس في سوريا حاسمة في الكثير من المعارك بدءاً من "الله غالب" وليس انتهاء بمعارك الجنوب السوري، ولا يقتصر تأثير الضربات العنيفة على الطائرة الحديثة نفسها فقط والتي تقدر على حمل ما يصل إلى 8طنان من الذخيرة، إنما على الصواريخ الذكية أيضاً ذات التقنيات الأكثر تطوراً في العالم وما يردها من رادارات وأنظمة توجيه وطائرات استطلاع من دون طيار من نوع أورلان بإصداراتها المختلفة، تمسح ميدان المعركة وتحدد نقاط

حلب الميدان الأكبر جغرافياً

في أيلول من عام 2015، كان النظام قد ثبت نقاطه في منطقة الملاج شمال مدينة حلب في النقطة الأقرب لطريق الكاستيلو، الطريق البري الأخير لأهالي المدينة، في الوقت الذي بدأت معركة بين الفصائل ووحدات حماية الشعب في حي الشيخ مقصود المطل على الطريق نفسه، وكانت الميليشيات الإيرانية وقوات النظام قد بدأت منذ منتصف أيلول 2015 باستقدام التعزيزات الضخمة لبدء معركة ريف حلب الجنوبي.

وضيق حينها تنظيم الدولة الخناق أكثر على مناطق سيطرة الجيش الحر في ريف حلب الشمالي بعد أن سيطر على بلدة صوران والبل وأم حوش وصولاً إلى بلدي حربل وتللين، ليتبقى للحر بضع بلدات إلى جانب مدینتي اعزاز ومارع.

في نهاية العام 2015 وصلت قوات النظام إلى تل العيس على الطريق الدولي دمشق - حلب بعد شهرين من بدء معركة ريف حلب الجنوبي، وهنا كان الحضور الروسي قوياً وحاسماً من خلال أسراب متمالية من طيران القاذفة سوخوي 24 وسوخوي 30 التي كانت أقل سرباً حينها مكوناً من 4 طائرات تحمل السوخوي 30 الواحدة منها 8 قنابل غير موجهة من نوع FAB-500 أو 6 قنابل من نوع 500- KAB، وبذلك دعم النظام بقطاعات جوية أكثر تدميراً بأضعاف عن البراميل المتفجرة التي تصنعها معاهد البحوث العلمية لدى النظام والتي تلقىها طائرات الهلوكوبتر التي لا تستطيع حمل أكثر من 4 براميل متفجرة.

وإلى جانب أسراب الطيران الحديث، زج الروس براجمات الصواريخ من نوع سميرتش (BM-30 Smerch) في الميدان الحلي لتعزيز سياستها في الأرض المحروقة، هي منظومة صاروخية بعيدة المدى تستخدّم لتدمير الأهداف الجماعية بدقة لا تقارن مع راجمات النظام من نوع غراد ولمدى يصل إلى 90 كم، بأنواع مختلفة من الصواريخ الانشطارية والعنقودية المخصصة للأفراد والعنقودية الذكية المخصصة للمدرعات حيث ينفجر الصاروخ على ارتفاع قريب من الأرض وتخرج منه القنابل العنقودية التي تلاحق العربات الثقيلة وتفجرها.

جسم الوجود العسكري الروسي برأ وجواً المعركة لصالح النظام في حلب بسرعة غير متوقعة، وذلك فضلاً عن التكتيك المختلف بشكل كبير والذي لاحظه الثوار على الأرض ما يؤكد وجود مستشارين وخبراء عسكريين روس في غرف عمليات النظام والميليشيات الإيرانية.

إلى جانب ما ذكر سابقاً دخلت البعثة البيضاء المعركة على ما يبدو لعدم اكتناع الروس بكافية التغطية الجوية من خلال السوخوي بمختلف إصداراتها، ولاتساع رقعة ميدان المعارك التي شملت شمال مدينة حلب لحصارها وريفها الجنوبي وريفها الشرقي الذي كان تحت سيطرة تنظيم الدولة.

البعثة البيضاء Tupolev Tu-160 قاذفة قنابل الاتحاد السوفييتي الاستراتيجية الأسرع من الصوت، والتي شوهدت في أوائل عام 2016 في الشمال السوري برفقة 4 طائرات اعتراضية من نوع سوخوي 30 وسوخوي 35، تحتوي البعثة الروسية مخزنين تبلغ حمولة الواحد منهما 20 طنًا من الصواريخ المجنحة والقنابل الموجهة وغير الموجهة.

وبذلك كانت الطلة الجوية الواحدة للبعثة تعني لدى الثوار على الأرض 69 قنبلة من نوع FAB-250، أو 30 قنبلة من نوع KAB-500، أو 8 صواريخ مجنحة موجهة من نوع KH بعياراتها المختلفة؛ دفعه واحدة قادرة على حرق منطقة تصل

مساحتها إلى 10 كم مربع، وهذه المساحة تعتبر نصف مساحة أكبر معركة أطلقها النظام في سوريا.

ظهرت الدبابة الروسية الأحدث من طراز T-90 للمرة الأولى في معارك رتيلان وحدنرات والملاح (المنطقة الملاصقة لطريق الكاستيلو)، كانت عشرات الصواريخ من نوع تاو لدى الفصائل العسكرية بدون جدوى مع هذه الدبابة المحمية بأنظمة تشويش على الصواريخ وأنظمة مضادة للصواريخ الموجهة، والمغلفة بأحد أقوى الدروع في العالم، دعم الروس تقدم هذه الدبابة بـ MI-24 طائرة الهلوكوبتر من طراز MI-24 التي كانت تطير على ارتفاع منخفض جداً من الأرض وصل في بعض المعارك إلى 500 متر فقط، وظهرت هذه المروحيات للمرة الأولى في نهاية عام 2015 في منطقة كفربودة بريف حماة الشمالي، وكثُف النظام من استخدامها خاصة في معارك الغوطه الشرقية الأخيرة.

وعلى صعيد المعارك بين تنظيم الدولة وقوات النظام، كان التنظيم حينها قد كثُف هجماته على مطار كويرس بريف حلب الشرقي ونقط النقط الملاصقة لطريق حمص، ليلطلق النظام منذ بدء التدخل الروسي معركة واسعة في ريف حلب الشرقي تنتهي بفتح باب إدلب وإلى ريف الرقة الجنوبي الغربي.

سقوط حلب و المعارك في المناطق المحاصرة

القدرة التدميرية الهائلة للطيران الروسي بمختلف أنواعه المذكورة سابقاً فضلاً عن راجمات و مدفعية النظام والأخرى الروسية الأكثر تطوراً وفتكاً، نسفت خطوط الدفاع لدى الثوار في المدينة المحاصرة، ومن ثم دمرت أحياء المدينة الشرقية بشكل شبه كامل وفي أحياء أخرى تدميراً كاملاً باستخدام الصواريخ من نوع 1500-FAB التي يصل وزنها إلى طن من مواد متفجرة أقوى من TNT. وأدى التدخل العسكري المكثف لروسيا لإفشال "ملحمة حلب الكبرى" التي فكَّت الحصار عن مدينة مدة أسبوعين وأضعفت كل احتمالات نجاح المعركة الثانية، كما أوقعت أضراراً غير مسبوقة في صفوف الفصائل العسكرية من ناحية المقاتلين والعتاد.

سقوط مدينة حلب وإخلاء الثوار والأهالي كانت نقطة فارقة في مسار المعارك على امتداد الأراضي السورية. سيطر النظام بهذا الدعم غير المحدود من الذخيرة المتنوعة للأسلحة الأحدث في المعسرك الشرقي على البايدية السورية من ريف حلب الشرقي وحتى حدود العراق مروراً بباديتي حماة وحمص، ومن ثم بدأ النظام والروس يستفرون بالمناطق المحاصرة كلأ على حدة بدءاً من الغوطه الغربية وداريا والشرقية والقلمون الشرقي وريف حمص الشمالي والجنوب السوري.

هل كان بإمكان أكثر مما كان؟

تدخلت إيران بميليشياتها المتمرسة على حرب العصابات منذ عام 2013 في محاولة بائسة لإنقاذ النظام الذي كان قد خسر حينها 70% من الأراضي السورية لصالح الثوار، إلا أن روسيا عبر الـ 12 فيتو التي أنقذت فيه حليفها في دمشق تبعاً من كل الضربات السياسية التي وُجّهت ضده، وعبر أسراب الطيران الحربي الذي لا يقارن مع الطائرات الصدئة لدى النظام وذخيرتها المصنوعة محلياً كبراميل الـ TNT، وما يردها ميدانياً من صواريخ و مدفعيات و راجمات و دبابات و ناقلات جند حديثة و خبراء و جنرالات متمرسين في إدارة المعارك من أفغانستان وحتى سوريا؛ بات السؤال الآن بعد خسارة هذه المناطق الكثيرة ونظراً لتسليح المعارضة الذي كان في أفضل حالاته بضع مئات من صواريخ الغراد و مئات آلاف الرصاصات الخفيفة والمتوسطة لمواجهة الترسانة الروسية و عشرات آلاف المرتزقة الإيرانيين وآلاف الدبابات والمدافع والراجمات لدى النظام، هل كان بإمكان الفصائل العسكرية أفضل مما كان؟!

تجاوز صمود الثوار السوريين في العديد من المناطق السورية وتحديداً في معارك كانت حاسمة ومفصلية فيها؛ كل توقعات المحليين والخبراء العسكريين الذين راهنوا منذ إعلان روسيا تدخلها في سوريا على تمكن الروس وحليفها في سوريا من استعادة السيطرة على كامل سوريا خلال أقل من عام.

كما أخرج حملة البنادق التي صنعت منذ أكثر من 70 عاماً، الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي قال في اعلان تدخل بلاده في سوريا أن "المهمة ستتجز في سوريا خلال ثلاثة أشهر تقريباً".

واجهت الفصائل العسكرية في حلب منذ أيلول 2015 وحتى أواخر عام 2016 هذا الحلف المدجج بالأسلحة وأخرت حصار المدينة عاماً كاملاً في منطقة جغرافية لا تتجاوز مساحتها 30 كم مربعاً شمال المدينة، وكسرت الحصار عنها مخترقة المنطقة الأكثر تحصيناً للنظام في سوريا عبر السيطرة على كلية المدفعية ومدرسة الحكم وعشرات النقاط المحيطة بهما خلال 3 أيام ونصف الليلة.

وصدت داريا أمام جحافل الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة وأسراب الطيران الحربي والموهبي حتى أصبح عدد الرصاص في جعب المقاتلين أقل من عدد جنود النظام وشبيحه المحبيطين بها.

وأقلقت الغوطة الشرقية الملائقة للعاصمة دمشق الأسد نفسه في قصره الجمهوري والذي شاهد منه عشرات آلاف الغارات الجوية عليها على مدار سنوات الحصار الأربع، وواجهت أكثر من 200 هجوم شامل عليها فشلت كلها، لحين تعذر الصمود نهاية في المعركة الأخيرة التي أدت إلى تهجير أهلها منها قسرياً.

الآن تركز روسيا على أن تحصد ثمار جهدها العسكري سياسياً عبر الالتفاف على القرارات الدولية واللعب على التوازنات بين اللاعبين الآخرين للبقاء على الأسد وعصاباته في الحكم، وذلك على أنقاض مدن بأكملها دُفن تحتها عشرات آلاف السوريين الذين مزقتهم قنابل روسيا، وتباهت بذلك لتسويق سلاحها عالمياً.

المصادر:

تلفزيون سوريا